التواصل الفني بين تركيا والجزائر في العصر الحديث
المساجد ذات القبة المركزية بالجزائر دراسة حالة.

Technical communication between Turkey and Algeria in modern times Mosques with central dome in Algeria :case study.

أ.د بلحاج معروف جامعة تلمسان مخبر التراث الثري وتثمينه.

تاريخ الاستلام :2018/10/03 تاريخ القبول: 2018/12/17

ملخص: قبل مجيء الأخوين عروج وخير الدين إلى الجزائر ومساهمتهما في تمركز النفوذ العثماني فيها كانت التقاليد المعمارية في بناء المساجد تتبع ذلك الأسلوب المعماري الذي انتشر في كل أرجاء مناطق شمال إفريقيا وبلاد الأندلس منذ بناء أوّل مسجد فيها، ويتعلق الأمر بطراز المساجد ذات الأعمدة والدعامات، لكن وبعد توطيد العثمانيين حكمهم في الجزائر، كان لا بد من تجسيد هيمنتهم حتى معماريا وترك بصماتهم الفنية على إنجازاتهم، وذلك على غرار كل المناطق الخاضعة لنفوذهم، فارتأى الحكام تشييد مساجد على الأسلوب المعماري الذي كان يرمز إلى الإمبراطورية العثمانية، فبرزت المساجد ذات القبة المركزية كشعار لها، وبطبيعة الحال فإنّ هذا الطراز قد حمل معه مجموعة من التأثيرات الفنية القادمة من تركيا، ومع استمرار بقاء المهندس الجزائري وفيا لتلك التقاليد المعمارية المحلية وتقبله للأساليب الجديدة الوافدة صار هناك نوعا من التمازج بين الفنين المحلي والعثماني، ونريد من خلال دراستنا للمساجد ذات القبة المركزية التي شيدت في الجزائر في العهد العثماني إبراز ذلك التواصل الفني الذي كان سائدا بين تركيا والجزائر خلال ثلاثة قرون من الزمن، وجاء كثمرة لتلك العلاقات الحسنة التي كانت تربط الأمتين.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، المسجد، القبة المركزية، العثمانيون، التواصل الفني، النمط المعماري، التصميم المعماري، العناصر الزخرفية.

Abstract : Before the arrival of the brothers Aruj and Khairuddin to Algeria and their contribution to the concentration of Ottoman influence in it, the way of traditional architectural building of mosques followed the

architectural style that has spread throughout North Africa and Andalusia :a style of mosques with columns and pillars, After the establishment of Ottomans in Algeria, their hegemony had to be embellished architecture .Artistic imprints were left to their achievements, as did all the areas under their influence. The rulers saw the construction of mosques that bore the symbol of the Ottoman Empire. The central dome, of course was coming from Turkey, and with the fact that the Algerian engineer remains faithful to the local traditional architecture and accept the new kind ,mixing between the local and Ottoman artists.

Keywords: Algeria, central dome, Ottomans, communication, art, architectural style, design, architectural elements, decorative elements

مقدمة :

كان المغرب الأوسط يعيش في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي في جو من الفوضى سياسية، نتج عنها حالة من عدم الأمن والاستقرار[1]، إذ كثرت الصراعات والنزاعات المستمرّة بين الدويلات الثلاثة (الحفصية والمرينية والزيانية)، ممّا أدّى إلى ظهور عدّة إمارات مستقلّة متناثرة ومتناحرة فيما بينها، بحيث تسعى كلّ واحدة منها إلى توسيع أراضيها على حساب الإمارات المجاورة، وقد استغلت القوّات الأسبانية هذه الوضعية السياسة والاجتماعية والاقتصادية المتردية، فتمكّنت من بسط نفوذها والاستيلاء على معظم المدن الساحلية الجزائرية تقريبا.

ولردّ هذا الغزو، استنجد أهالي بلاد الجزائر بالأسطول العثماني الذي كان ينشط في حوض البحر الأبيض المتوسط تحت قيادة الأخوين برباروس؛ عروج وخير الدين[2] اللذين تمكّنا من طرد الجيوش الإسبانية من كلّ السواحل الجزائرية باستثناء مدينة وهران التي استعصت عليهم وبقيت في أيدي الأسبان إلى أن تم استردادها نهائيا سنة 1792م، وحكم العثمانيون البلاد بداية من سنة 1516م، ومنذ طلب خير الدين المعونة من الباب العالي

1 - Fuat Carım, Cezayir’deki Türkler,Sanat basımevi,Istanbul 1962, p :15.
2 - Diego de Haedo, Histoire des rois d’Alger, grand Alger livres, Alger 2004, pp ;16 – 25.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

سليم الأول سنة 1519م أصبحت الجزائر إيالة تابعة للإمبراطورية العثمانية[1] إلى غاية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1516- 1830م قام حكام الجزائر بتشييد العديد من المباني الدينية والمدنية والعسكرية وبطبيعة الحال، ومن دون شك، فإلى جانب التقاليد المعمارية المحلية فقد استعان المعماري الجزائري خلال هذه الفترة ببعض الأساليب المعمارية العثمانية الوافدة إلى الجزائر مع القادمين الجدد من أنحاء مختلفة من تركيا. وتأتي المساجد في مقدمة المباني الدينية التي أولى لها الحكام العثمانيون عناية خاصّة، وسنحاول من خلال هذه الدراسة إبراز أهم التأثيرات الفنية الوافدة التي تم تطبيّقها في بعض المساجد. ولتوضيح تلك الأساليب الجديدة الوافدة، سنسلط الضوء في بحثنا على نمط معماري معين من المساجد لم يسبق وأن شيّد المعماري الجزائري مثله قبل هذه الفترة، والذي يعد بدوره تأثيرا عثمانيا محضا، ويعبّر بحق عن ذلك التواصل الفني الذي تأسّس بين المجتمعين التركي والجزائري، ويتعلّق الأمر بطراز المساجد ذات القبّة المركزية.

كان نمط المساجد ذات الأعمدة والدعامات هو السائد في السنوات الأولى من الدخول العثماني إلى الجزائر. حيث امتازت الفترة بحضور عنصر الدعامة أو العمود بكثافة داخل بيوت الصلاة ، وذلك قصد تقسيم الفضاء المعماري المتاح إلى بلاطات أو أساكيب أو الاثنان معا، كما كانت القبّة الصغيرة تغطّي الفضاء الذي يتقدم المحراب وقد تأخذ أيضا مكانا في وسط أو نهاية البلاطة الوسطى المستعرضة، بينما غطيت الفضاءات المتبقية من بيت الصلاة بسقوف خشبية تأخذ عموما الشكل الجملوني من الخارج، وكان الصحن ذو الأشكال المستطيلة أو المربعة أو غير المنتظمة تحاذي بيت الصلاة وتحيطها أروقة مغطاة بسقوف مشابهة لسقوف بيت الصلاة أو مسطحة[2]، وأمّا المآذن فكانت على الطراز المربع أي ذات قاعدة وبدن مربع التخطيط وتنتهي بجوسق تتوّجه قبيبة.

---

1 – للمزيد من المعلومات في هذا الموضوع يرجى العودة إلى عبد الجليل التميمي، <<أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519>>، دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي في العصر الحديث، زغوان 1999، ص: 99 – 104.

2 - Rachid bourouiba, Apport de l’Algérie à l’architecture religieuse arabo-musulmane de l’Algérie, O.P.U, Alger1986, p : 30.

ولكن ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي وبالضبط في 1032هـ/ 1622م بدأ المعماريون العثمانيون والجزائريون في تطبيق طراز معماري جديد في بناء المساجد، ويتمثل هدا النمط في تغطية بيت الصلاة بقبّة كبيرة تحتل معظم مساحتها، ويقوم بمساندتها من الجوانب قباب صغيرة وأحيانا أنصاف قباب أو أقبية، وقد أصبح هذا الطراز المعماري مند بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي رمزا معماريا للإمبراطورية العثمانية، وقد أطلق على هذا النوع من المساجد اسم "المساجد ذات القبة المركزية" أو "المساجد ذات المخطط المركزي".

1 – من ناحية التصميم:

لقد تم بناء المساجد في الجزائر وفق تصميم المخطّط المركزي، وجاء البناء كما جرت العادة في عمارة المساجد منقسما إلى وحدتين معماريتين هما؛ بيت الصلاة والصحن:

1 – 1 بيوت الصلاة:

صار حجم القبّة كبيرا، بحيث أصبحت تغطّي مساحة مهمّة من بيت الصلاة، وعليه انخفض عدد الركائز من دعامات وأعمدة داخل هذه المساجد، ولقد سعى المعماري العثماني منذ القرن 14م في رحلة البحث عن الحل الأنجع لمعضلة الوحدة المكانية داخل بيوت الصلاة، إذ لاحظ أنّ الركائز كانت بمثابة العائق الذي يمنع ويحجز تلك الوحدة المكانية المبتغى الوصول إليها، ومن خلالها الوصول إلى وحدة صفوف المصلين، وفي سبيل ذلك خاض المعماري العثماني تجارب عديدة سواء خارج إستانبول أو داخلها، وبفضل حنكة وذكاء المهندس الفذ سنان باشا تم الوصول إلى التصميم الأنسب والأمثل لمشكلة الوحدة المكانية التي تحقّقت بالفعل في جامع السليمية بأدرنة[1]، حيث يشعر المرء بالرحابة التي يتّسم بها المكان، ولا يعيق نظره أي عائق من مشاهدة كل التفاصيل المعمارية داخل بيت الصلاة، وقد حاول العثمانيون تصدير هذه التجارب إلى الأقاليم التي بسطوا فيها نفوذهم، ومن بينها أيالة الجزائر.

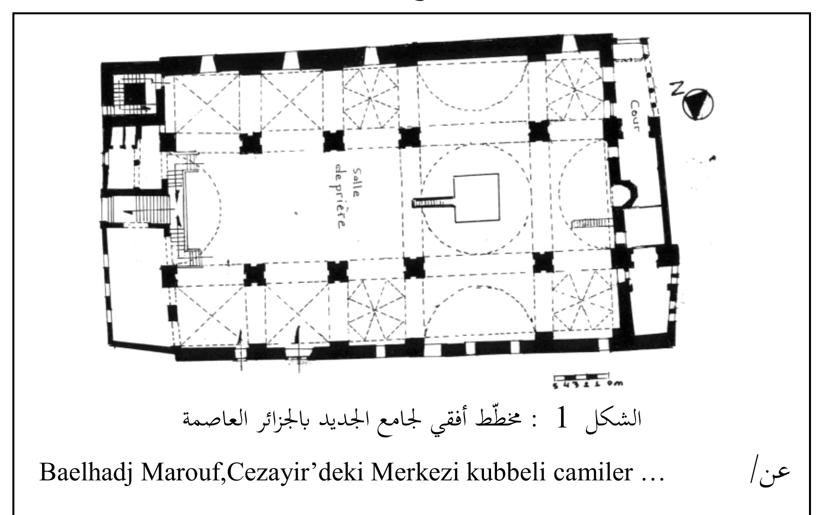
---

1 – للتعرف أكثر على التجارب التي خاضها المعماري العثماني في سبيل الوصول إلى الحل الأمثل في مسألة الوحدة المكانية ندعو القارئ الكريم للعودة إلى مقالنا . ينظر بلحاج معروف، <<القبة المركزية ومساعي المعماري العثماني لتشكيل وحدة مكانية داخل المساجد>>، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع: 43، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 2011، ص: 211 – 222.

عندما نلقي نظرة على تصاميم المساجد التي شيّدت في كلّ من الجزائر العاصمة ومعسكر وعنابة ووهران على هذا النمط المعماري، يمكن أن نميّز اعتمادا على نقاط ارتكاز القبّة المركزية ثلاثة أنواع مختلفة من التصاميم:

1-1 -1 التصميم الأول:

يتمثل في الجامع الجديد[1] (الصورة 2) الذي أنشئ في الجزائر العاصمة سنة 1071هـ/ 1660م، حيث أنّ القبّة المركزية البيضاوية ترتكز هنا بواسطة المثلثات الكروية على أربع دعامات, ومن الجوانب الأربعة نجد الأقبية نصف البرميلية، وبينها وعلى مستوى منخفض تأخذ أربع قباب مثمنة الأضلاع مكانها، ولقد تمّت تغطية جوانب القبو النصف البرميلي المنطلق نحو الجهة الشمالية بأقبية مضلعة (أو ما يطلق عليها أحيانا بالأقبية النجمية)، ويمكن أن نطلق على هذا النوع اسم "الجامع ذو أربع نقاط ارتكاز" (الشكل1).



الشكل 1 : مخطّط أفقي لجامع الجديد بالجزائر العاصمة

عن/ Baelhadj Marouf,Cezayir'deki Merkezi kubbeli camiler …

يذكرنا هذا المخطّط بالتجارب الأولى التي خاضها المعماري العثماني في سبيل الوصول إلى التصميم الأمثل لحل معضلة الوحدة المكانية، وهكذا جاء جامع السلطان محمَّد شلبي (الصورة 1) الذي يقع في ديموتيقا على بعد 40 كلم جنوبي أدرنة على نفس مخطّط جامع الجديد، حيث غطّى المعماري حاجي عوض بيت الصلاة المربّعة (30×30م^2) بقبّة مركزية ذات قطر 13م، ومن جوانبها أقبية نصف برميلية، وفي الأركان أقبية متقاطعة[2](الشكل

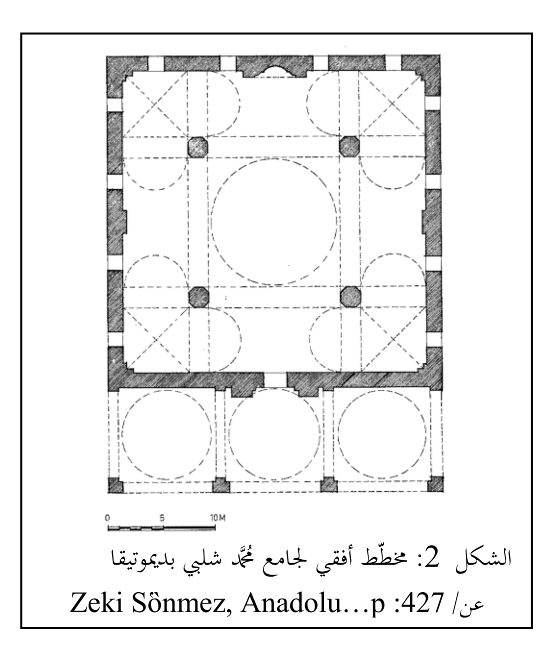
---

1 – يقع الجامع الجديد بساحة الشهداء في الجزائر العاصمة، وقد شيّد لصالح المذهب الحنفي بعد أن سيطر الإنكشاريون على الحكم في إيالة الجزائر، وذلك إرضاء للأتراك وطلبا لدعمهم، وحسب الكتابة التذكارية الموجودة في إطار المحراب فإنّ الجامع بني سنة 1071هـ/ 1660م.
Baelhadj Marouf, , Cezayir'deki merkezi kubbeli camiler –Osmanlı dönemi- thése de magister, Université d'Istanbul, 1991, p : 27.

2 – أوقطاي اصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول 1987، ص: 178.

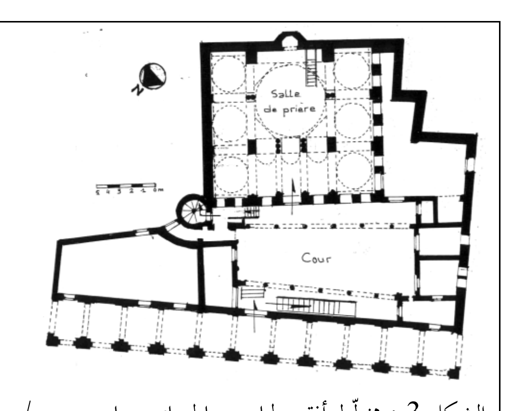
2). ومن جهة أخرى نجد أنّ جامع كستانة بازارى (جامع سوق الكستناء) (الصورة 1) الذي بني سنة 1079هـ/ 1663م) بإزمير، هو الأكثر تشابها مع جامع الجديد من حيث التصميم، ففي هذا الأنموذج جاءت بيت الصلاة مغطاة بقبّة مركزية، ومن الجوانب أقبية نصف برميلة، وفي الأركان

قباب صغيرة[1]، لكن هنا جاءت الأقبية كلّها متساوية في حجمها، في حين كان القبو الشمالي في جامع الجديد أكثر استطالة من الأقبية الأخرى، وذلك لضرورة معمارية تتمثل في الحاجة إلى توسيع بيت الصلاة ليستوعب عددا أكبر من المصلين.

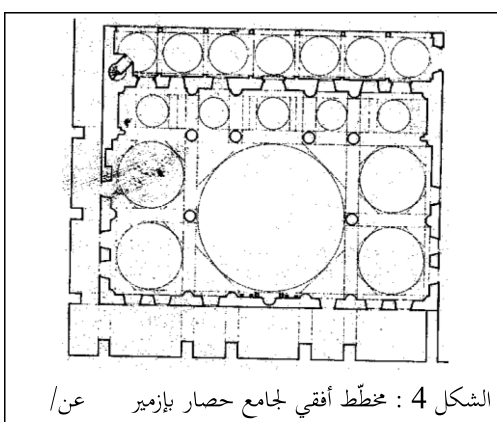


الشكل 2: مخطّط أفقي لجامع مُحَمّد شلبي بديموتيقا
عن/ Zeki Sônmez, Anadolu…p :427

1 -1-2 التصميم الثاني:



الشكل 3 : مخطّط أفقي لجامع صالح باي بعنا عن/
Baelhadj Marouf,Cezayir'deki Merkezi


الشكل 4 : مخطّط أفقي لجامع حصار بإزمير عن/
Oktay Aslanapa,Osmanli devri..p :428

---

1 - Işık Ungan, Izmir camileri, mémoire de licence, histoire de l'art, Université d'Istanbul, 1968,p : 73.

يتمثل في جامع صالح باي[1] (االشكل:3، الصورة 4) الذي شيّد سنة 1792م بعنابة، ففي مخطّط هذا المسجد فإنّ القبّة المركزية ذات الشكل نصف كروي تستند على ست نقاط (الشكل 3) بواسطة العقود، وهكذا فالقبّة ترتكز من جهة القبلة على نقطتين فوق جدار القبلة مباشرة، ومن الجهة المقابلة لها، على زوجين من الأعمدة الثلاثية، وأمّا من الجهة الشرقية والغربية فعلى فرد من الأعمدة المزدوجة، ويمكن أن نطلق على هذا النوع اسم "الجامع ذي ست نقاط ارتكاز". لقد غطيت المساحات المتبقية من بيت الصلاة بثلاث قباب نصف كروية من الجانبين الشرقي والغربي وبثلاث أقبية متقاطعة من الجانب الشمالي. ولا بد من الإشارة هنا إلى استخدام المثلثات الكروية للانتقال من المربع إلى المثمن في القبّة المركزية.

تشير المصادر التاريخية إلى أنّ صالح باي ولد وترعرع في مدينة إزمير، وعليه فلا شك أنّه استلهم تصميم مسجده من المباني القديمة بمسقط رأسه، وبعد البحث في المساجد الأثرية التي تزخر بها مدينة إزمير عثرنا على جامع يكاد يشبهه تماما في مخطّطه، ويتعلّق الأمر بجامع حصار (الصورة 3) الذي شيّد من قبل الباي يعقوب في 1597 -1598م، ففي هذا الجامع أحيطت القبّة المركزية من الجهتين الشرقية والغربية بقبّتين نصف كرويتين(الشكل 4)، ومن الجهة الشمالية بخمس قباب صغيرة[2]، أي أنّ الاختلاف كان فقط في الجهة الشمالية، حيث تم استبدال القباب بالأقبية المتقاطعة في جامع صالح باي.

1 –1– 3 التصميم الثالث:

يتمثل في جامع علي بتشنين وجامع كتشاوة وجامع صفر وجامع الداي في الجزائر العاصمة وجامع عين البيضاء (جامع المبايعة) بمعسكر وجامع الباشا بوهران، حيث ترتكز القبّة المركزية في هذه المساجد على ثماني

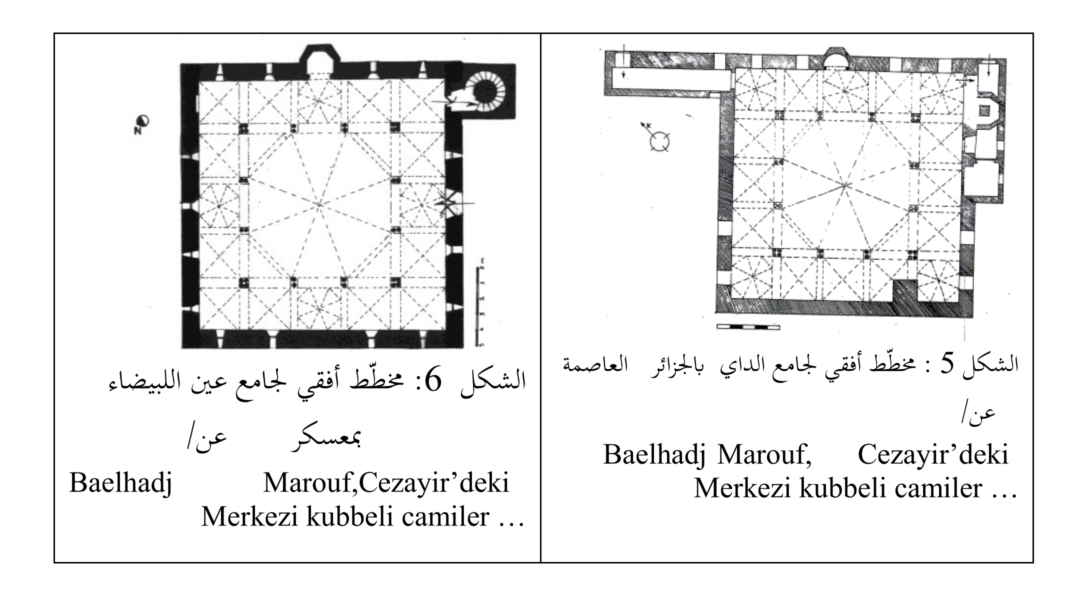
---

1 – ولد صالح باي بن مصطفى سنة 1138هـ/ 1725م بمدينة إزمير التركية، ودخل الجيش الإنكشاري، ثم توجّه إلى مدينة قسنطينة ليعيّن سنة 1185هـ/ 1771م بايا على بايليك الشرق، وقد وصل بجيوشه إلى مدينة ورقلة، وبتزايد نفوذه في المنطقة قرّر الداي حسن باشا عزله سنة 1207هـ/ 1792م وتعيين إبراهيم باي مكانه، فرفض صالح باي الرضوخ لقرار الداي، وفرّ إلى مدينة عنابة، حيث بنى مسجده وقاد عصيانا ضد الباي الجديد وقتله، وعند وصول الخبر إلى الداي عيّن حسين بن بهاتك بايا على بايليك الشرق، وأمره بالسير نحو قسنطينة والقضاء على صالح باي، وهكذا تمكّن من القضاء عليه سنة 1208هـ/ 1793م. بلحاج معروف، <<طراز المساجد ذات القبة المركزية بالجزائر في العهد العثماني من خلال ثلاثة نماذج>>، مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع::32، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ديسمبر 2005، ص:25.

2 - Oktay Aslanapa,Osmanli devri mimarisi, Inkilap kitapevi, Istanbul 1985, p :294.

نقاط؛ نقطتين في كل جانب من جوانب المربع المركزي ممثلة في عمودين أو دعامتين, نحن نعلم أنّ مشكلة الوحدة المكانية داخل بيت الصلاة قد تم حلّها من قبل المعماري سنان باشا بفضل استخدام طريقة استناد القبّة المركزية على ثماني نقاط ركائز، ولكن أوّل تجربة في هذا المجال كانت قبل ذلك بكثير في الجامع الكبير بمانيسة (768هـ/ 1366م)[1]، وقد أطلقنا على هذا النوع اسم "الجامع ذي ثمانية نقاط ارتكاز".

إنّ مساجد الجزائر التي تدخل في الطراز الثالث تختلف فيما بينها من حيث عدد الأروقة المحيطة بالمربّع المركزي، وعليه يمكن تنميطها على هذا الأساس إلى ثلاثة أنواع كما يأتي:



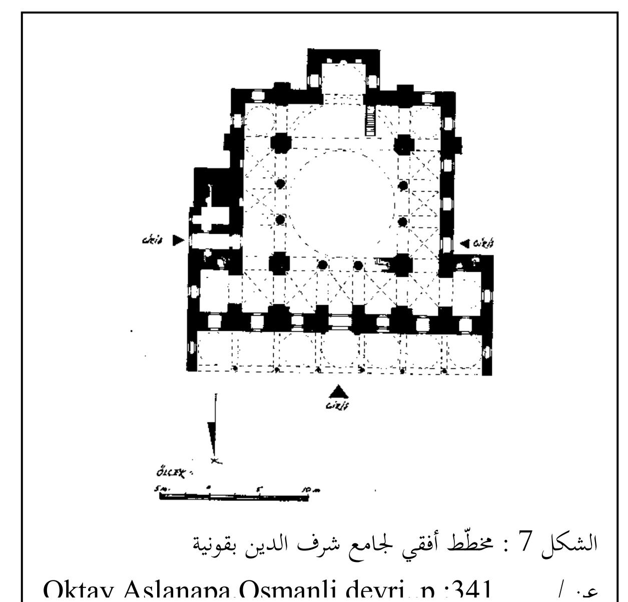
الشكل 5 : مخطّط أفقي لجامع الداي بالجزائر العاصمة عن/ Baelhadj Marouf, Cezayir'deki Merkezi kubbeli camiler …

الشكل 6: مخطّط أفقي لجامع عين اللبيضاء بمعسكر عن/ Baelhadj Marouf,Cezayir'deki Merkezi kubbeli camiler …

1 – للمزيد من المعلومات حول موضوع التجارب التي خاضها المعماري المسلم في سبيل حل مشكلة الوحدة المكانية داخل بيوت الصلاة، ينظر بلحاج معروف، << القبة المركزية ومساعي المعماري العثماني ...>>,

- **النوع الأوّل:** ترتكز القبّة المركزية بواسطة الحنايا الركنية في كل من جامع عين البيضاء بمعسكر[1](الصورة 8) وجامع الداي بالجزائر العاصمة[2] (الصورة 7) على زوج من الأعمدة الثنائية في كل جانب من جوانب المربّع المركزي الذي يحيطه من كلّ الجهات رواق مغطّى بقباب صغيرة ثمانية الأضلاع، والتي تأخذ مكانها وسط كلّ جانب بالنسبة لجامع عين البيضاء (الشكل 6)، وفي الأركان وأمام المحراب بالنسبة لجامع الداي (الشكل 5)، وغطّيت بقية الفضاءات بأقبية متقاطعة.

إنّ إحاطة المربّع المركزي برواق واحد من كل الجوانب يذكّرنا بتصميم جامع شرف الدين (الشكل 7 ، الصورة 9) الذي تم بناؤه سنة 1636م بمدينة قونية.



الشكل 7 : مخطّط أفقي لجامع شرف الدين بقونية

عن / Oktay Aslanapa,Osmanli devri, p :341

- **النوع الثاني:**

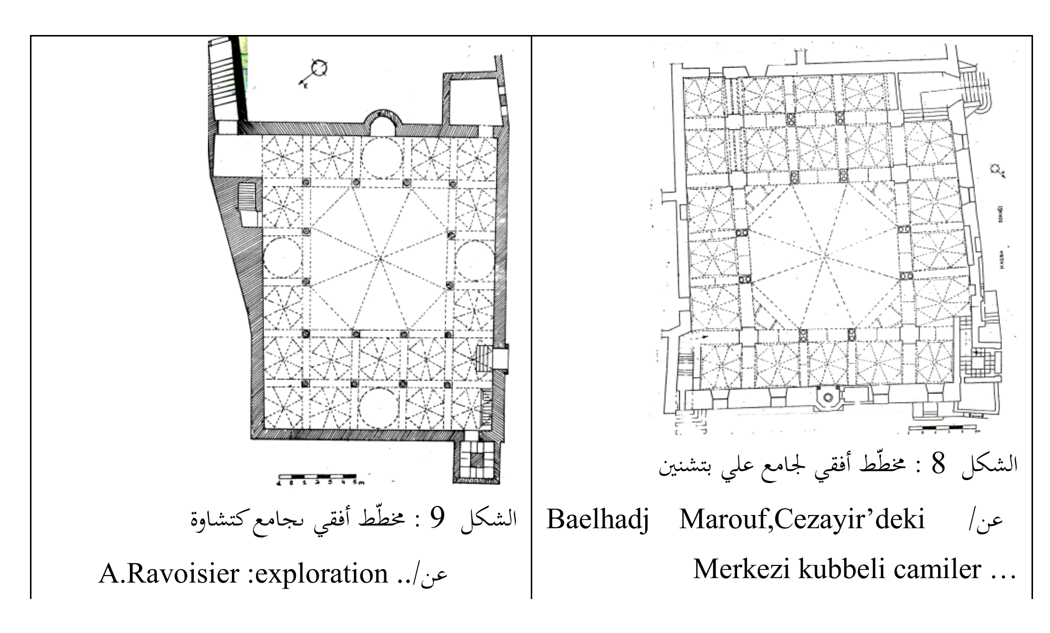
وضعت القبّة المركزية المثمنة الأضلاع بواسطة الحنايا الركنية على عمودين في كل جانب من جوانب المربّع المركزي، حيث كانت منفردة في جامع كتشاوة[3]

1 – يقع الجامع وسط مدينة معسكر التي كانت عاصمة لبايليك الغرب في الفترة الممتدّة من 1710م إلى 1792م، وحسب الكتابة التذكارية الموجودة في إطار المحراب فقد شيد هذا المبنى سنة 1195هـ/ 1780مبأمر من الباي مُحَمَّد الكبير (1195-1213هـ/ 1780-1798م). ينظر Baelhadj Marouf, Op.cit, p :39.

2 – تشير اللوحتان الرخاميتان الموجودتان فوق مدخلي الجامع إلى أنّ الجامع بني سنة 1234هـ/ 1819م بأمر من الداي حسين (1818-1830م). ينظر Baelhadj Marouf, Op.cit, p ; 76.

3 – شيّد الجامع سنة 1209هـ/ 1794م بأمر من الداي حسن باشا (1206* 1213هـ/ 1781-1798م)، قام الاستعمار الفرنسي بهدمه ابتداء من 1844م وشيد مكانه سنة 1846م كتدرالية.

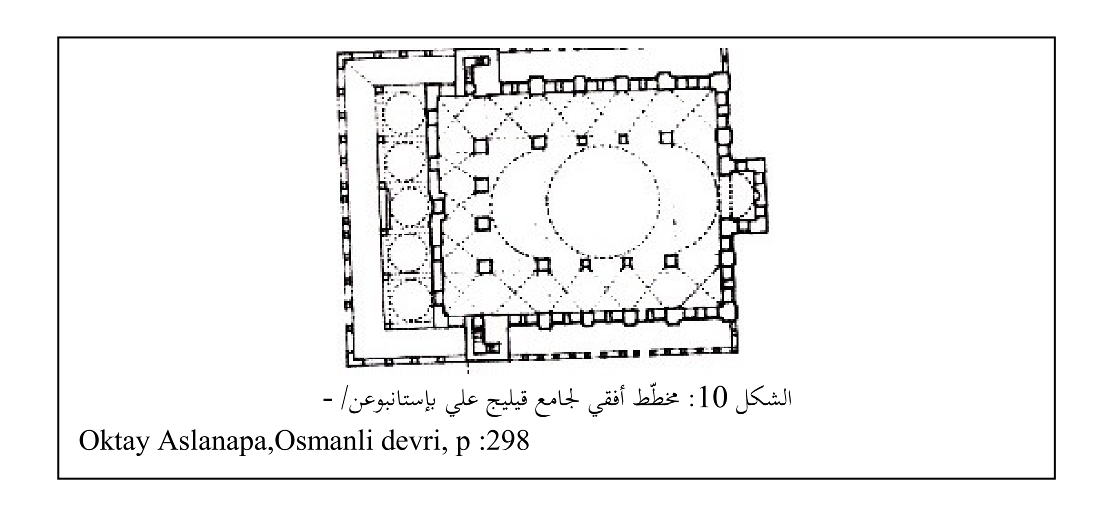
ينظر Baelhadj Marouf, Op.cit,p : 67.



الشكل 8 : مخطّط أفقي لجامع علي بتشنين
عن/ Baelhadj Marouf,Cezayir'deki Merkezi kubbeli camiler …

الشكل 9 : مخطّط أفقي بجامع كتشاوة
عن/.. A.Ravoisier :exploration

(الشكل 9) ومزدوجة في جامع علي بتشنين[1] (الشكل 8)، ويحيط بالمربّع المركزي رواق من جميع الجهات، ومن خلال المخطّط القديم لجامع كتشاوة الذي تركه لنا رافوازيه نلاحظ إضافة رواق آخر إلى الجهة الشمالية.

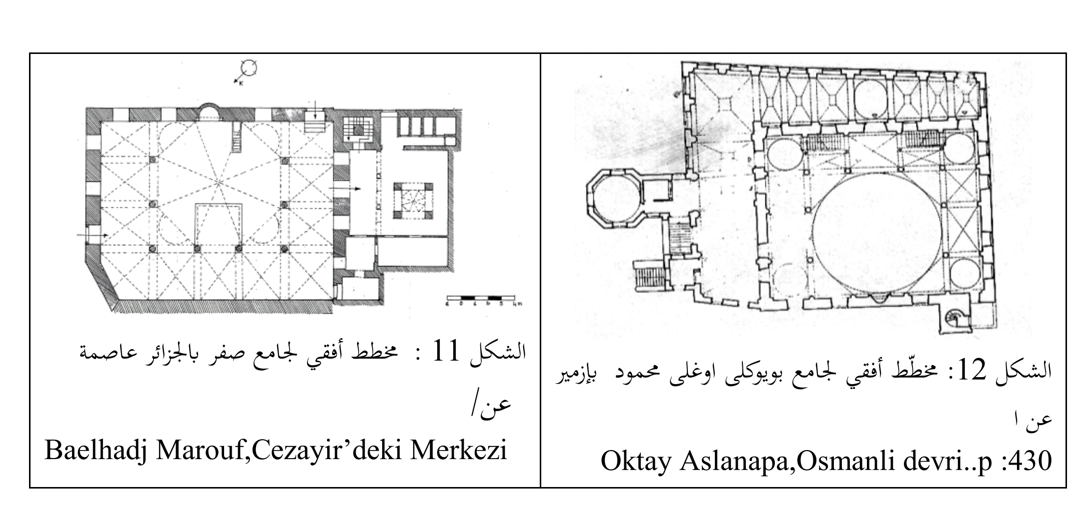


الشكل 10: مخطّط أفقي لجامع قيليج علي بإستانبوعن/ -
Oktay Aslanapa,Osmanli devri, p :298

1 – لا تتوفر لدينا معلومات حول التاريخ الدقيق لبناء المسجد، ولكن يفهم من خلال الوثائق الوقفية أنّ علي بتشنين بن عبد الله الذي يحمل الجامع اسمه أمر ببناء هذا الجامع سنة 1032هـ/ 1622م .
ينظر. Baelhadj Marouf, Op.cit, p ; 21.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

إنّ هذا التصميم يشبه إلى حد كبير جامع قيليج علي (الشكل:10، الصورة 10) الذي بناه سنان باشا سنة 1580 في منطقة طوبقابو بإستانبول[1]، والاختلاف الوحيد يكمن في استخدام أنصاف القباب في جامع قيليج علي (الشكل 10) لتغطية جهة المحراب والجهة المقابلة له[2]، بينما غطيت كل فضاءات الأروقة في جامعي علي بتشنين (الصورة11) وكتشاوة بقباب مضلعة.



الشكل 12: مخطّط أفقي لجامع بويوكلى اوغلى محمود بإزمير عن ا
Oktay Aslanapa,Osmanli devri..p :430

الشكل 11 : مخطط أفقي لجامع صفر بالجزائر عاصمة عن/
Baelhadj Marouf,Cezayir'deki Merkezi

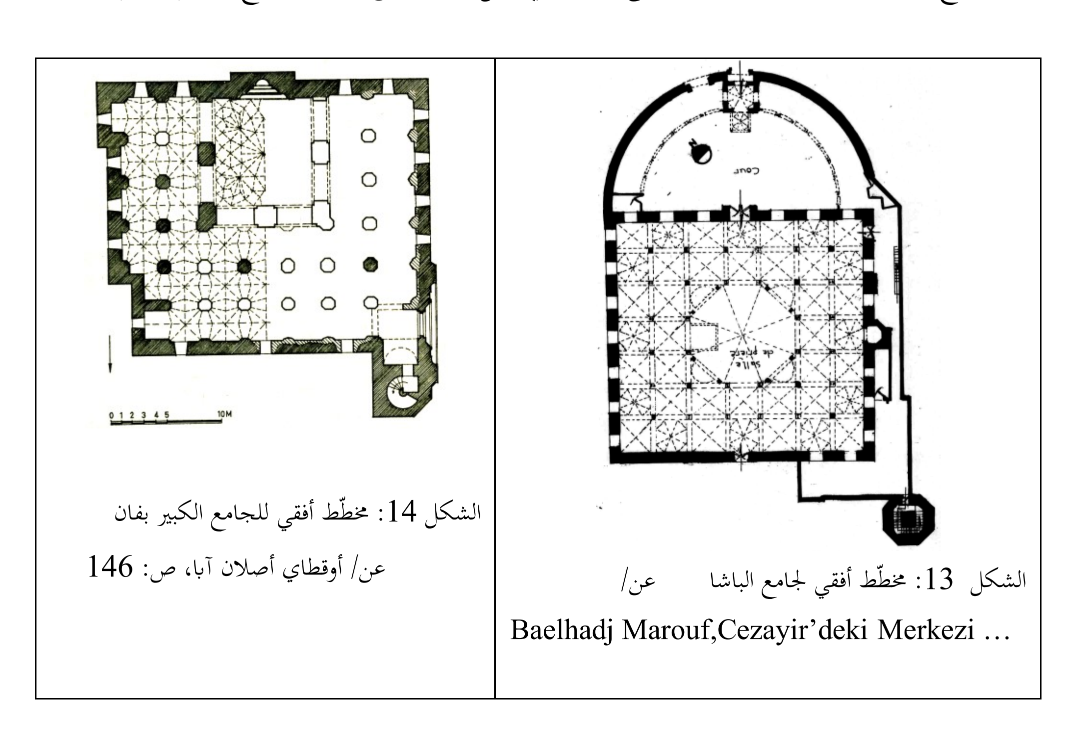
- **النوع الثالث:**

في هذا المخطّط الذي يمثّله جامع صفر[3] بالجزائر العاصمة (الشكل:11، الصورة 6)، تستند القبّة المركزية المثمنة الأضلاع بواسطة الحنايا الركنية على عمودين في الجهات الشمالية والشرقية والغربية، وعلى جدار القبلة مباشرة من جهة القبلة، ويحيط بالمربّع المركزي من ثلاث جهات رواق مغطّى بأقبية متقاطعة (الشكل11)، وانطلاقا من الخصائص المعمارية المذكورة آنفا يمكن أن نجد له صلة مع جامع بويوكلى اوغلى محمود أو المشهور تحت اسم "جامع شدروان" (الشكل12، الصورة5) الذي أنشئ في سنة 1048هـ/ 1637م بمدينة إزمير[4].

1 - Oktay Aslanapa,Osmanli devri mimarisi, Inkilap kitapevi, Istanbul 1985, p :294.
2 - Ibid , p : 294
3 – يقع الجامع داخل القصبة بالجزائر العاصمة، تشير اللوحتان الرخاميتان الموجودتان أعلى المدخل الرئيسي للجامع إلى تاريخ البناء ، فالأولى تعلمنا أنّ الجامع من إنشاء صفر بن عبد الله سنة 941هـ/ 1534م، وأمّا الثانية فتخبرنا أنّ الداي حسين أمر بإعادة بناء الجامع سنة 1242هـ/ 1826م. ينظر Baelhadj Marouf, Op.cit, p : 83.
4 - Oktay Aslanapa,Op.cit, p :429.

- **النوع الرابع:**

في هذا التصميم الذي يمثّله جامع الباشا بوهران[1] (الشكل 13، الصورة 12،) فإنّ القبّة المركزية المثمنة الأضلاع ترتكز بواسطة الحنايا الركنية على ركيزتين في كل جانب من جوانب المربّع المركزي الذي يحيط به رواقان



الشكل 13: مخطّط أفقي لجامع الباشا عن/ Baelhadj Marouf,Cezayir'deki Merkezi …

الشكل 14: مخطّط أفقي للجامع الكبير بفان عن/ أوقطاي أصلان آبا، ص: 146

من كل الجهات، فأقربهما إلى المربع مغطّى بأقبية متقاطعة، والآخر مغطّى بقباب مضلعة وأقبية متقاطعة بطريقة التناوب، إنّ ما يشدّ الانتباه ذلك العدد الهائل من الركائز في بيت الصلاة ومن هذه الجهة فإن التقارب يكون

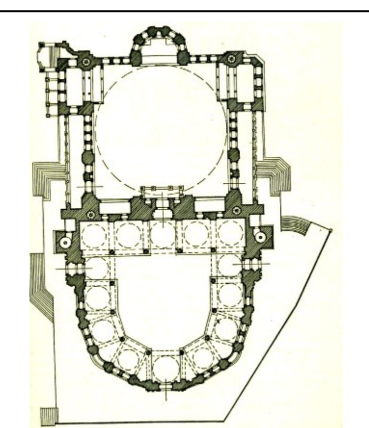
1 – بعد أن تمكن الباي محمّد الكبير باسترداد مدينة وهران نهائيا من أيدي الاحتلال الإسباني، شيد احتفالا بالمناسبة وبأمر من الداي حسن باشا جامع الباشا سنة 1206هـ/ 1792م. ينظر بلحاج معروف،<<طراز المساجد...>>، مرجع سابق، ص: 26-27.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

أكبر مع مساجد عهد البايليكات بالأناضول، حيث يتبادر إلى ذهننا الجامع الكبير بمدينة فان Van (الشكل14) الذي لحقه الخراب والدمار[1].

2 – الصحن:

باستثناء صحن جامع الباشا الذي سلم من التغييرات والتعديلات الكثيرة، أخذت الصحون في المساجد ذات القبّة المركزية بالجزائر أشكالا متعدّدة, ويجلب انتباه الآثاريين بصفة خاصّة صحن جامع الباشا الذي صمّم بشكل نصف دائري، ويعدّ ذلك طفرة معمارية فريدة في طرازها بالجزائر, وبما أنّنا نعلم أنّ أوّل صحن جاء على هذا النمط المعماري كان في جامع نور عثمانية (الشكل 15) (1755م) بإستانبول[2]، وكان ذلك بمثابة إعلان عن دخول أسلوب الباروك في العمارة الدينية الإسلامية، فيمكن القول أنّ صحن جامع الباشا كان تأثيرا عثمانيا محضا.



الشكل 15: مخطّط أفقي لجامع نور عثمانية بإستانبول
عن/ أصلان آبا، ص: 211.

2 – العناصر المعمارية:

نتناول هنا تلك العناصر المعمارية الأساسية التي يكون حضورها ضروري في المساجد، وقد أغفلنا الحديث عن الأثاث المسجدي.

2 – 1 المآذن:

---

1 – بني هذا الجامع خلال الفترة الأولى من السلطان يوسف القره قويونلى ما بين 1389م و 1400م، وكان قائما حتى سنة 1913، ولكن في حالة سيئة، وبعد ذلك أصابه الدمار والخراب الكامل ، إذ لم يبق منه سوى جزء يسير من بدن المئذنة. ينظر اصلان آبا، مرجع سابق ، ص: 145 -146.

2 – بلحاج معروف ، <<طراز المساجد....>>، ص:30.

اسم المعلم الأثري	جهة موقع المئذنة	شكل البدن	الارتفاع	عدد الدرجات
جامع علي بتشنين	الجنوبية	مربع	؟	؟
جامع الجديد	الشمالية	مربع	25	124
جامع كتشاوة	الغرببية	مربع	؟	؟
جامع عين البيضاء	الجنوبية	مثمن	20.50	74
جامع الباشا	الغربية	مثمن	32	150
جامع صالح باي	الشمالية	أسطواني	15.34	32
جامع صفر	الغربية	مثمن	16.75	63
جامع الداي	الغربية	مثمن	12.10	37

جدول يبّين بعض المعطيات المتعلقة بمآذن المساجد ذات القبة المركزية بالجزائر[1]

من خلال الجدول المبين في الأعلى نلاحظ أنّ المآذن التي ترتفع في المساجد ذات المخطط المركزي تأخذ أبدانها أشكالا عديدة إمّا مربّعة أو مثمنة أو أسطوانية. وتجدر الإشارة إلى أنّ النمط المعماري المألوف للمآذن في الجزائر قبل العهد العثماني كان النمط المربّع الذي شاع استخدامه في كل المغرب الإسلامي، وعليه فالشكلان المثمن والأسطواني يعدّان من الأساليب المعمارية الوافدة مع مجيء العثمانيين إلى الجزائر، وأمّا بالنسبة للمئذنة ذات الشكل الأسطواني فإنّها تمثل من حيث الشكل والبناء التأثير المباشر للعمارة العثمانية.

وهنا لا بد من القول أنّ وجود مئذنة ذات قاعدة وبدن مربع محاذية لبيت صلاة مغطّاة بقبّة مركزية يعدّ تجديدا من الناحية المعمارية, وهذا دليل على قدرة المهندس الجزائري على الابتكار، إذ أنّ مثل هذا النوع من المساجد يبتعد عن الطراز المألوف في مساجد تركيا، ويعلن عن ظهور أسلوب معماري جديد سينتشر فيما بعد في البلدان المجاورة للجزائر، كما نلاحظ ذلك جليا في جامع سيدي أبي محرز الذي شيد سنة 1675م بتونس[2].

1 - Bealhadj Marouf, Op.cit,p :95.

2 - بلحاج معروف، <<طراز المساجد...>>، مرجع سابق، ص: 29-30.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

2 – 2 المحاريب:

جاء المحراب في المساجد ذات القبّة المركزية في الجزائر عبارة عن تجويفة يكتنفها عمودان رخاميان، ويقوم شريط إمّا بسيط أو مزين بزخارف خطية، كما هو الشأن بالنسبة للجامع الجديد وجامع عين البيضاء بتقسيم التجويفة إلى قسمين؛ فأمّا السفلي فيكون على العموم مضلعا ومغطّى بالبلاطات الخزفية، وقد يكون ذو مخطّط نضف دائري، كما هو الحال في جامع صفر وجامع الداي، وأمّا الجزء العلوي فجاءت جميعها مضلعة الشكل، وأحيانا مزينة بالزخارف الجصية أو بالبلاطات الخزفية[1].

لقد أبدع الفنان الجزائري في العهد العثماني في زخرفة إطار المحراب بتشكيلات زخرفية متنوعة ورائعة فوق مادّة الجص، ولدينا في محرابي جامع الجديد وجامع عين البيضاء أنموذجين للتنوّع الزخرفي بين العناصر النباتية والهندسية والخطية. ونلاحظ في النموذجين السابق ذكرهما ذلك الإبداع الفني الذي حقّقه الفنان في هذه الفترة التاريخية من خلال التمازج بين العناصر الزخرفية المحلية والوافدة، وأمّا أطر المحاريب الأخرى فقد زيّنت بالبلاطات الخزفية، وهذا بحد ذاته تأثير عثماني باعتبار أنّ استعمال البلاطات الخزفية في المحراب لم يكن من التقاليد المعهودة في العمارة المسجدية بالجزائر قبل العهد العثماني.

2 – 3 القباب:

لجأ المعماري الجزائري خلال الفترة العثمانية إلى استخدام القبّة كوسيلة للتسقيف في نطاق واسع، وذلك تماشيا مع النمط المعماري الجديد المطبّق في هذه الفترة، ولاحظنا حضور ثلاثة أنواع من القباب، فكانت القبّة المركزية إما بيضاوية أو نصف كروية أو مثمنة الأضلاع، وأمّا القباب الصغيرة فكانت جميعها مثمنة الأضلاع، باستثناء تلك التي تغطّي بيت الصلاة في جامع صالح باي، حيث جاءت نصف كروية.

ولقد استخدم في منطقة انتقال القبّة من المربّع إلى المثمن الحنايا الركنية بأشكال عديدة في معظم المساجد، باستثناء جامع الجديد حيث استعملت المثلثات الكروية.

2 – 4 الركائز:

استخدم المعماري الجزائري أحيانا الأعمدة وأحيانا أخرى الدعامات، وقد يكونان معا جنبا إلى جنب

---

1 - لحاج معروف، <<طراز المساجد...>>، المرجع السابق، ص: 31.

كما هو الشأن بالنسبة لجامع الباشا بوهران، إنّ الأمر لا يختلف بالنسبة للمساجد العثمانية في تركيا، حيث استعملت الدعامة أو العمود، لكن صغر حجمهما أو ضخامتها فكان يتماشى وضخامة حجم المبنى، فمن الطبيعي أن تكون دعامات جامع السليمانية مثلا، مختلفة في حجمها عن دعامات الجامع الكبير بألبستان (1498م)[1] وجامع الجديد بالجزائر العاصمة على الرغم من بنائها على نفس التصميم.

ويلاحظ عند تطبيق المخطط ذي المربع المركزي في عمارة المساجد أنّ عدد الأعمدة والدعامات يتقلص في بيوت الصلاة لتترك للمصلين مكانا واسعا خاليا من أي عنصر معماري، وبالتالي الحصول على وحدة مكانية، حيث لا عائق يحجب مكونات المبنى عن الأنظار ويعيق وحدة المصلين. وعلى هذا المنوال بنيت بعض مساجد الجزائر في العهد العثماني، باستثناء جامع الباشا الذي لم نلاحظ فيه نقصا في عدد الأعمدة والدعامات، على الرغم من تطبيق المخطط ذي المربع المركزي، وذلك على غرار بعض المساجد في تركيا مثل الجامع الكبير بفان Van (الشكل 11).

2 – 5 العقود:

إنّ نوع العقود المستعملة بكثرة في عمارة المساجد قبل العهد العثماني تتمثل في العقود الحدوية، وقد استمر هذا التقليد حتّى في المساجد ذات القبّة المركزية، واستعمل أيضا إلى جانب هذا العقد، العقد الحدوي المتجاوز والعقد المدبب والعقد النصف الدائري، كما استعمل العقد على شكل يد القفة Arc à anse de panier في جامع صالح باي[2].

2 – 6 الرواق المتقدم على الجامع (البرطال):

يكون هذا العنصر المعماري عبارة عن رواق يتقدّم الجامع، ويكون مفتوحا نحو الخارج بواسطة بائكة (صف من العقود)، وقد ظهر هذا العنصر المعماري بشكل ملفت للانتباه في بعض المساجد السلجوقية ذات

---

1 – يعتقد معظم المؤرّخين أنّ الجامع من عمل الدولقادريين الذين قضى عليهم السلطان العثماني سليم الأول سنة 1517م، لكن بالجامع نقيشة تشير إلى أنّ المبنى من إنشاء الملك السلجوقي غياث الدين كيخسرو سنة 637هـ/ 1239م، ويعتقد أصلان آبا أنّ هذه النقيشة تعود إلى بناء آخر وقد وضعت في هذا الجامع من قبل العثمانيين مكان نقيشة تحمل اسم الدولقادريين لطمس معالمهم.، أوقطاي أصلان آثا، مرجع سابق، ص: 194.

2 – بلحاج معروف، <<طراز المساجد...>>، مرجع سابق، ص: 31.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

القبّة الواحدة ببلاد الأناضول، وذلك بداية من القرن الرابع عشر ميلادي، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر، مسجد سرچالى بمدينة قونية، الذي يعود تاريخ إنشائه إلى أواخر القرن الثالث عشر ميلادي[1]، وعندما نعود إلى مساجد الجزائر نرى أنّ هذا العنصر سجّل حضوره في جامع صالح باي بعنابة، وهكذا يكون هذا الجامع قد استلهم مخطّطه تماما من تصميم جامع حصار بإزمير.

3 – الزخرفة:

استعملت في التطبيقات الزخرفية كل أنواع المواد مثل الجص والبلاطات الخزفية والرخام والخشب، وقد نقشت عليها عناصر زخرفية متنوعة منها النباتية (مثل مراوح نخيلية محورة بأنواعها، وأزهار القرنفل وزهرة اللالة التركية) والهندسية (مثل الأشكال النجمية والمربعات والمستطيلات والمعينات ودوائر وأشكال ثمانية الأضلاع ...الخ) وخطية (مثل الخط الكوفي والنسخي المغربي).

إنّ حضور البلاطات الخزفية داخل بيت الصلاة واستخدامها في تكسية جدرانها يعد تجديدا بالنسبة للجزائر، ويشير إلى تقنيات جديدة وافدة قادمة مع الأتراك، باعتبار أنّ هذه المادّة استعملت بكثرة من قبل الفنانين السلاجقة ومن بعدهم العثمانين في المساجد التي شيّدوها في بلاد الأناضول وخارجها.

لقد استخدم في تنفيذ الكتابة على اللوحات التذكارية أسلوب جديد لم يكن معهودا قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر، وتتمثل هذه الطريقة في تنفيذ الكتابة بتقنية الحفر الغائر، ثم ملء الحروف بمادّة الرصاص، وهذا ما لاحظناه في اللوحة التذكارية بجامع صالح باي بعنابة، ومع قلّة استخدام هذه الطريقة في المشرق الإسلامي يتأكّد لدينا فكرة وفودها إلى الجزائر ضمن الأساليب العثمانية الأخرى.

ويبقى أن نشير إلى ورود أسماء لبعض الفنانين الأتراك أنجزوا إبداعات فنية رائعة مثل تلك اللوحة الفنية التي أنجزها أحمد بن صارمشق لتزيين إطار محراب جامع عين البيضاء بزخارف جصية البديعة ذات الألوان المختلفة، ويتّضح من خلال بعض الأعمال الفنية التي أنجزت من قبل فنانين ينتمون إلى عائلة ابن صارمشق ذات

---

1 - ينظر أوقطاي أصلان آبا، مرجع سابق، ص: 91.

الأصول التركية في بعض المباني الأخرى[1]، أنّ هذه العائلة كان لها باع طويل في فن التجصيص، ممّا يدل على أنّ هذه العائلة قدمت من تركيا واستقرت بالجزائر خلال الفترة العثمانية.

خاتمة:

تدل المساجد التي شيدت بالجزائر في الفترة العثمانية على النمط المعماري المسمّى "المساجد ذات القبّة المركزية" بما تحمله من تأثيرات عثمانية سواء من ناحية التصميم أو من ناحية العناصر المعمارية أو الزخرفية، أنّه كان هناك تواصل فني يربط الجزائر بالإمبراطورية العثمانية، ويؤكّد ذلك حضور عائلات مختصة في مجال فن التجصيص بالجزائر خلال هذه الفترة، وهي ذات أصول تركية، ولربما كان هناك استقدام لمهندسين معماريين إلى الجزائر لإنجاز بعض الأعمال الإنشائية التي ذكرناها، ولكن ليس بأيدينا أدلة نستدل بها.



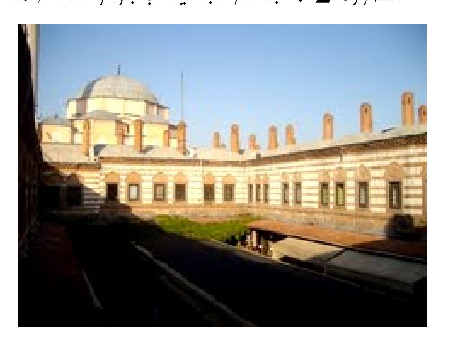
الصورة 1: جامع كستانه بزارى بإزمير



الصورة 2 : جامع الجديد بالجزائر العاصمة



الصورة 3: جامع حصار بمدينة إزمير



الصورة 4: جامع صالح باي بعنابة

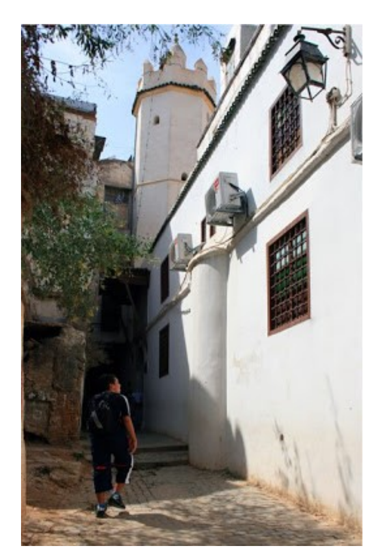
[1] – لقد كانت لعائلة صارمشق التركية أعمالا فنية في مجال فن الزخرفة على الجص مثل الجامع الكبير بمدينة معسكر وأيضا ضريح سيدي أبي مدين شعيب بتلمسان. للمزيد من المعلومات ينظر: معروف بالحاج، <<إبداعات عائلة ابن صارمشق في فن التجصيص من خلال دراسة أنموذجين معماريين>>كتاب فعاليات الملتقى الدولي الثاني؛ الحرف والمهارات والحياة المهنية بالعالم المتوسطي من خلال المصادر الأثرية، المعهد العالي لمن التراث، تونس 2015، ص:77-91.


الصورة 7: جامع الداي بقصر الداي في الجزائر



الصورة 8: جامع عين البيضاء بمعسكر


الصورة 5 جامع بويوكلى اوغلى بإزمير


الصورة 6 جامع صفر بالجزائر العاصمة



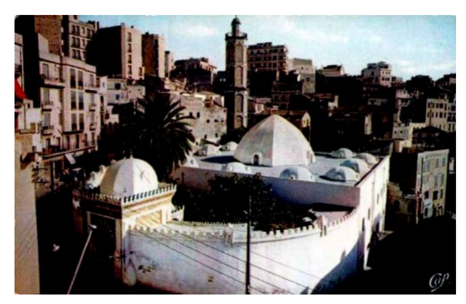
الصورة 9: جامع شرف الدين بقونية

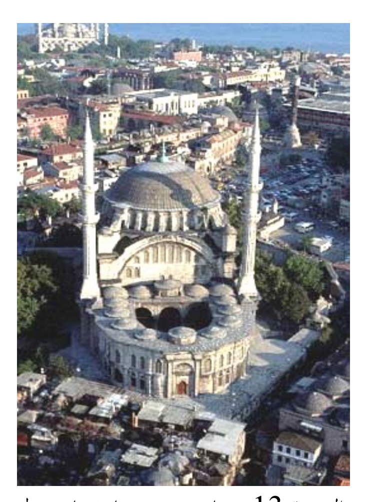


اللصورة 10: جامع قيليج علي بإستانبول



الصورة 11: جامع علي بتشنين بالجزائر العاصمة


الصورة 12: جامع الباشا بوهران


الصورة 13: جامع نور عثمانية بإستنبول
http://haberciniz.biz/foto-galeri-


الصورة 14 محراب جامع عين البيضاء بمعسكر


الصورة:15 محراب جامع الباشا بوهران

البيبليوغرافيا

– أوقطاي اصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول 1987. بلحاج معروف، <<القبة المركزية ومساعي المعماري العثماني لتشكيل وحدة مكانية داخل المساجد>>، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع: 43، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 2011، ص: 211 – 222.

– بلحاج معروف، <<طراز المساجد ذات القبة المركزية بالجزائر في العهد العثماني من خلال ثلاثة نماذج>>، مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع:32 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ديسمبر 2005، ص:19-34.

- بلحاج معروف ، <<إبداعات عائلة ابن صارمشق في فن التجصيص من خلال دراسة أنموذجين معماريين>>كتاب فعاليات الملتقى الدولي الثاني؛ الحرف والمهارات والحياة المهنية بالعالم المتوسطي من خلال المصادر الأثرية، المعهد العالي لمن التراث، تونس 2015، ص:77-91.

– عبد الجليل التميمي، <<أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519>>، دراسات ووثائق في التاريخ المغاربي في العصر الحديث، زغوان 1999، ص: 99 – 104.

- A.Ravoisier :Exploration scientifique de l’Algérie pendant les années 1840, 1841et 1842, Imprimerie nationale Paris 1848.

-Baelhadj Marouf, , Cezayir’deki kubbeli merkezi camiler –Osmanlı dônemi- thése de magister, Université d’Istanbul, 1991.

- Diego de Haedo, Histoire des rois d’Alger, grand Alger livres, Alger 2004.

- Fuat Carım, Cezayir’deki Tὺrkler,Sanat basımevi,Istanbul 1962.

- Işık Ungan, Izmir camileri, mémoire de licence, histoire de l’art, Université d’Istanbul, 1968.

- Oktay Aslanapa,Osmanli devri mimarisi, Inkilap kitapevi, Istanbul 1985.

- Rachid bourouiba, Apport de l’Algérie à l’architecture religieuse arabo-musulmane de l’Algérie, O.P.U, Alger1986.

- http://haberciniz.biz/foto-galeri-